

المقامة البوفيهية

بيرم التونسي (١٨٩٣ - ١٩٦١م)

حدثنا عمر بن جعران قال: من عادتي أن أتناول العَشَاء.. بين المغرب والعِشاء.

فلما وضعنا الطبْلِيَّة.. وغَرَفنا الملوخيَّة.. وراقَ الجو وطاب.. دَقَّ الباب؛ ففتحت. فلقيتُ شابًّا في بَدْلةٍ سوداء.. ورأيتُ على الباب سيارةً في غايةِ البهاء.

فقال الفتى: أهذا منزلُ ابن جعران المأذون؟

قلت: هكذا يزعمون.

قال: أسْرِعْ بدفترِكْ.. وشرِّفْنا بمحضرِكْ.. لتعقدَ قِرانَ بنتِ المرعَشْلي باشا.. على عصمت بك اليوز باشا .

قال ابن جعران: فأخذني الانبهار.. وصحتُ: يا أهلَ الدار! عندكم الملوخيَّة؛ فكلوها.. وقطعة الأرنب؛ فانهشوها.. واقْذِفُوا لي بالجبة. فقذفوها.. وانطلقتْ بنا السيارة.. كأنها طيارة.. فقلت للفتى:

أَرفِـقْ بها في السيـر والتقـدُّم
وَامشِ الهُوَيْنى فـي الطريق المظلم
لا تُبْـدِلَنْ أفراحَـنـا بمأتـم

فلما قطعنا المشوار، ودخلنا الدار.. وجدتُ الدارَ شامخة.. والحفلة باذخة.. فيها مِن الوزراء مَن سَبَق.. ومن الكبراء من التحق..

فقلت: أين العريسُ الموعود؟

قالوا: هو ذا موجود.. وها هم أولاء الشهود.

فاستفتحت الخطبةَ بالحمد والثناء.. ودعوتُ لهم بالبنين والرِّفاءْ[١].. ثم رأيتُ القومَ ينهضون جميعًا.. ويخرجون سريعا.

إلى أين؟

قال العريس: إلى البُوفَيْه.. وقم معي لأَدُلَّكَ عَلَيْه.

فتركتُ الدفترْ.. ومشيتُ خلفه أَتَعَثَّرْ.. حتى وصلنا إلى البُوفَيْه الذي قال عليه.. فإذا مائدةٌ كأنها سماطُ المـُجَّاج.. وعليها الخرافُ والأسماكُ والدجاجْ.. بل وعليها ألوانٌ وأنواعْ.. لم يَبْلُغْني خَبَرُها بالنظر ولا بالسَّماع.

ولكنَّني أُشهدُ اللَّهَ.. الذي لا إلهَ سواه.. أنَّ الموائدَ امتحانٌ لا غِشَّ فيه.. وأنها تُـمَيِّزُ النبيلَ من السفيه..

فالموائد تُبيِّــنُ الأشراف من الأجلاف.. وعليها تُصْدِرُ حُكْمَكَ على الناس بلا استئناف.

هؤلاء الجالسون من الأعيان.. الواحد منهم كأنه هامان.. أو قيصر الرومان: الكلامُ مِنَ الأنْف[٢].. والإشارةُ من الطَّرْف.. وقفوا على البوفيه وكأنهم الجيش الأحمر.. أو عربجيَّةُ المَــحْجَر.. وتقدَّم كلُّ واحدٍ منهم وشمَّرْ.

إبراهيم بك سعد مأمور قسم سابقًا:

حَشا شدْقَهُ لحْمًا وشدْقًا كُنَــافةً
وفي يَدِهِ القارُوصُ، والكيكُ في الأُخْرَى

وعثمان بك السيد موظف بالأوقاف:

رأى الأكلَ بالسكين ليس بمُسْعِفٍ
فأعْمَــلَ ملهــوفًا أصابعَــه العَشْرا

ومتولي باشا غانم بالمعاش:

تَوَقَّفَ قُدَّامَ الدجــاجةِ حائــرًا
أيُطْبِقُ في الورْكَيْنِ أم يَنْهَشُ الصدْرا؟!

ونجيب باشا المهندس:

تَناوَلَ مَوْزًا، ثم فجــلاً.. وبَسْطَةً
ولحْمًا وسردينًا، كذا (جِبْنَةً) حمْرا

وشعبان أفندي الدهشان من ذوي الأملاك:

لو انَّ الذي أصْفاهُ[٣] جيءَ بِنِصْفِه
إلى ملجــإِ الأيتامِ أشْبَــعَهُم شهرا

وذهني أفندي رئيس قلم الطرود:

رأى نِصْفَ ديكٍ فانثنى بجريدةٍ
ولَفَّ، وقال: الطَّرْدُ لابنتيَ الصغْرى

وشافعي باشا القاضي:

على شِــدقِهِ سال الإدامُ وصَدْرِهِ
على أنَّه -واللهِ- أرْفَعُــهمْ قَــدْرا

وسليم باشا مفتش الري:

يمُــدُّ إلــى الأُوزيِّ كَفًّــا كأنَّــها
بَرَاثِــنُ ضِــرْغامٍ، ولكنَّها أضْــرَى

والعبد الفقير:

وقفتُ وصُنْتُ النفسَ. واللهُ مخْلِفٌ
على مَن يَصُونُ النفسَ أو يحْسِنُ الصَّبرْا

ما هكذا كانت ولائمنا في الأفراح.. ولا مآكلنا في الأتراح.. ولعنةُ اللهِ على البوفيه القبيح.. الذي يُعَلِّمُ التَّشْبيح.. والسَّطْوَ الصريح.

قال ابن جعران:

وأقبلَ العريس.. يختَال ويمِيس.. فرأى يَدِي نظيفة.. ومشيتي خفيفة.. فقال لي: هل أكلتْ؟ فقلتْ:

جِئْتَ بي إلى العَشا وَسْطَ حفلٍ وموكِبِ

فقال: ولم لا تأكل؟ فقلت:

لَــمْ أُزَوَّدْ بســاعدٍ مِن حــديدٍ ومَنْكِبِ

فألقى نظرةً إلى أولئك الغنم.. وابتسم.. ثم قال: اتبعْني.. فسرتُ خَلْفَهُ يَعْني.. حتى دخلنا على الطبَّاخ.. فقال له: ما عندك من الفراخ؟

قال: دجاجتان من الفيُّومي.. وديكٌ رومي.

فقال: ضَعْها في صِينِيَّة.. مع بعضِ الكنافةِ والمُهَلَّبِيَّة.. وابعثْها إلى دار الأستاد مع الخادِمْ.. ليأكلَ هو والهانم.

وهكذا ينصرُ اللهُ الصابرينْ.. ولو بعد حين.